

سيمائية العنوان في قصيدة "أرجوان الشاطئ" لنسرين بلوط⁽¹⁾

د. فريدة مقلاتي
جامعة خنشلة - الجزائر

تاريخ الإرسال: 2019-02-01 تاريخ القبول: 2019-04-15 تاريخ النشر: 2019-05-31

الملخص بالعربية:

اهتم علم السيمياء بالعنوان في الأعمال الإبداعية، وعده علامة إجرائية تساعد القارئ على مقارنة النص، وتأويله، وقصيدة "أرجوان الشاطئ" تمثل بنية متكاملة لا يغني جزء منه عن جزء آخر، فالعنوان له علاقة نوعية بها إذ حددها، ودل على محتواها، وفي المقابل أيضا القصيدة لها فاعليتها الذاتية في وجود عنوانها، الذي يعد مركزا لها يمدها بالمعنى الحيوي على المستويين: الدلالي والرمزي.

إن عبارة "أرجوان الشاطئ" بنية مختزلة تكون لدى القارئ فرضيات بغية معرفة المستويين الدلالي والرمزي لاستكناه رؤية الشاعرة، وبخاصة أن العنوان لا يضعه الشاعر بطريقة اعتباطية، ومتمن القصيدة يتمركز في تشكيل وحداته الشعرية حول هذه البنية (أرجوان الشاطئ) بوصفها المساحة التي تنتقل عليها مقولة القصيدة الجمالية والدلالية، وبذلك فهو دليل على مركزية الفعل واكتناز معناه، وحيوية شكله في بناء المتن.

الكلمات المفتاحية: السيمياء، العنوان، القصيدة، اللون، الدلالة.

Résumé :

la sémiotique s'est focalisée sur Le titre et l'a considéré comme signe opérationnel permettant au lecteur d'analyser le texte dans le but de l'interpréter.

Le poème " Ourjouane ashati " représente la structure complète dans chaque élément ne peut remplacer un autre. Pour ce là le titre a une relation importante (spécifique) avec le poème il le détermine, et indique son contenu en revanche le poème " ourjouane ashati " a, aussi, Son impact sur Son titre qui et considéré comme le centre d'où le poème tire son sens au niveau sémiotique et symbolique.

L'expression « Arjouane ashati » est une structure réduite qui sollicite chez le lecteur des hypothèses, en identifiant les niveaux sémiotique et symbolique, pour dégager la vision de la poétesse. Le choix du titre n'est pas arbitraire Le contenue du poème est dans la combinaison de ses unités lyriques autour de cette structure décrite comme l'espace sur lequel défile le propos artistique du poème et démontre ainsi la dynamique formelle de sa construction et sa richesse sémantique.

Les mots-clés : le titre, la sémiotique, le poème, la couleur, la sémantique.

الدراسة:

إن العنوان «يقوم على تركيب نصي يعد مفتاحا منتجا ذا دلالة ليس على مستوى البناء الخارجي للعمل فقط، بل يمتد إلى البنى العميقة، ويستفز فواصله، ويدفع السلطة الثلاثية (المبدع- النص - المتلقي) إلى إعادة إنتاج تتيح لعوامل النص الانفتاح على أكثر من قراءة»⁽²⁾.

وعليه فالعنوان يعد نواة أو مركزا للعمل الإبداعي يمنحه المعنى النابض، بل « يمثل الرحم انخصب الذي يتمخض فيه نص القصيدة الشعري ويتخلق، وينمو»⁽³⁾، كما أنه علامة جمالية تسعى إلى جذب القارئ لمعانقة الخطاب الشعري بغية سبر أغواره، وفك شفراته، وكشف جمالياته، وفهم دلالاته، فهو جدار شفاف يُمكن المتلقي من كشف غائية الخطاب الشعري، ويساعده على فهمه وتفسيره⁽⁴⁾ باعتباره « أعلى اقتصاد لغوي ممكن يفرض أعلى فعالية تلقى ممكنة مما يدفع إلى استثمار منجزات التأويل»⁽⁵⁾، ولهذا فالدراسات السيميائية عدت العنوان عنصرا أساسيا في مقارنة الخطاب الشعري من أجل فهمه، بل هو « خالق النص الأدبي ومأنحه الهوية... لدخول

أغواص النص واستنطاقه»⁽⁶⁾، وربما هذا ما جعله يحتل الصدارة في الفضاء النصي للعمل الإبداعي فيتمتع بأولوية التلقي⁽⁷⁾.

ولا تبحث السيمياءية في دلالة العنوان فحسب، بل تسعى إلى تحديد كيفية حضور المعنى، وصيغ وجوده، وتعالقه مع المتن بغية تحديد كيفية بلورة المعنى المتمفصل فيه وجعله قادراً على تحديد هوية النص، وتحديد مضمونه، وجذب المتلقي لفك شفراته ومعرفة دلالاته الخفية، وهذا يدل على أن الدراسات الحديثة لم تعد تكتفي بقراءة المتن الشعري بوصفه هو النص فقط.⁽⁸⁾

وقد وقع اختياري على قصيدة "أرجوان الشاطئ" للشاعرة اللبنانية المعاصرة "نسرين بلوط" الفائزة بجائزة الرابطة اللبنانية سنة 2010م، علماً أن هذا العنوان قد سُميت به ديوانها الذي ضم عدداً معتبراً من القصائد، وتناول مواضيع شتى تعكس الواقع الذي يعيشه العالم العربي بمختلف فئاته.

واختيارها لهذا العنوان لم يكن اعتباطياً، بل هو مقصود، ومدروس إذ لا بد أن تكون هناك علاقة مؤسسة بين العنوان الذي وسم به الديوان ونصوص المتن، ودلالاتها، وإلا ما استحق أن يكون عنواناً لهذا الديوان، وبذلك يصبح العنوان «... حدثاً قصدياً أي أنه ينتج تحت قوة الإرادة من حيث هي مشيئة وعزم، وما يخالج هذه المشيئة من معاناة في إخراج العلامة التي تتحرك وفق إستراتيجية قصدية من المرسل إلى المرسل إليه لتبليغ مقصديات متنوعة»⁽⁹⁾، وهذا يعني أن عملية صياغة العنوان عملية قصدية يسعى من خلالها المبدع إلى تحقيق تكامل عضوي بين العنوان والمتمن.

وبذلك فقد تفتنت الشاعرة إلى أهمية العنوان، وأدركت وظائفه، ويتجلى هذا في طريقة الصياغة، فهو نص مختزل، ومكثف من ناحية الدلالة، وهذا ما جعله يضيفي بظلاله على المتن، وجذب المتلقي، وتحفيزه على الولوج إلى أعماق النص واستنطاقه لمقاربة معانيه، وتحديد خصائص فرادته وتمييزه عن سائر الأعمال الإبداعية، واستخدمنا لفظة مقاربة؛ لأن العنوان «... عين الخطاب على العالم من خلالها يندلق النص إلى العالم والقارئ إلى النص، وما بين الداخل والخارج تصطدم المقصديات ويحدث فعل القراءة الذي يطارد عبثاً المعنى المرجأ أبداً للعلامة الكائبة»⁽¹⁰⁾، وبذلك فالعنوان علامة ذات بعد دلالي تفتح أمام القارئ السبيل من أجل فك شفرات النص، ومقاربة

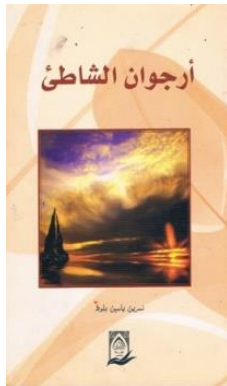
دلالاته الخفية. فما هي دلالات " أرجوان الشاطئ " من حيث هو نص مواز للقصيدة، وما هي طريقته في أداء الدلالة؟.

وسنطلق في تحليل العنوان من الكلمتين هما: " أرجوان الشاطئ" .

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة أن " أرجوان " صبغ أحمر قانٍ يميل إلى البنفسجي⁽¹¹⁾، واللون يعد « عنصرا مهما من عناصر التشكيل الجمالي في الفنون بعامة وفي الشعر بخاصة»⁽¹²⁾، وهذا العنوان " أرجوان الشاطئ" يتكون من مقطع واحد تتألف بنيته من المسند (الخبر) يمثل في لفظ " أرجوان" المضاف إلى " الشاطئ" وهذا المضاف يفيد الاختصاص، أما المسند إليه محذوف، ويمكن تقديره بـ(هذا)، وبهذا فالعنوان يمثل جملة اسمية مؤلفة من خبر ومضاف إليه، والمبتدأ كما أشرنا محذوف، وصيغة الإضافة هنا توضح طبيعة العلاقة الشعرية، والرمزية بين المضاف والمضاف إليه في عتبة العنوان، وما يمكن أن ينطوي عليه المتن الشعري من دلالات تغذي هذه الرؤية العنوانية.

ولفظة " أرجوان" - كما أشرنا سابقا- تدل على اللون، والنسق اللوني يلعب دورا هاما في تحديد نفسية المبدع وعلاقته بغيره، بل هو نسق من العلامات المعبرة عن دلالات خفية، فالشاعر بإمكانه أن «يحمل اللون أبعادا فوق دلالتها الأصلية، وتختلف تلك الأبعاد في رمزيتها ودرجة إيحاءها»⁽¹³⁾، وكلمة " الشاطئ" تدل على البعد المكاني، ولفظة " أرجوان" حددت نوعية المكان، والجو السائد فيه، ووفق المرجعية الآتية للعنوان " أرجوان الشاطئ" مع ملاحظة الصورة نستشف أنه أسهم في بناء الكثير من الدلالات، والمقاصد منها:

*الصورة:



1- المعنى الرومنسي، أو الجانب العاطفي، ولا سيما أننا نجد في المتن نظائر دلالية تدل على ذلك منها: الحب، الوعد، الأمان، الذكرى، المحبوب....، وهذا يوحي أنها تعاني من فقدان الحب الذي تنتظره من الحبيب، وفقدان المودة والمحبة تستلزم الجفاء من الطرف الآخر.

2- الغربة التي تعاني منها نتيجة هجرتها، وبعدها عن وطنها الحبيب - لبنان- الذي يحاول الصمود، وحسرة في القلب يخفيها الزمان، ونجد لهذا المعنى امتدادات في المتن منها: " كأن الأمر طال وعمر مر"، " الدموع منهمة"، " امتزاج الدموع مع البحر لتخفف المعاناة"،...

3- الحنين إلى الوطن، ويتجلى هذا في بحثها عن الأمان والراحة النفسية، وهذا لا يتأتى للإنسان إلا في وطنه، ومن خلال توحيدها بين اللون والمكان حددت نوعية وطبيعة الفضاء الذي تعيش فيه، وانعكاس ذلك على وجدانها، فهذا اللون استطاع استيعاب رؤيتها وقضيتها، والتعبير عن مكنوناتها، وهذا ما جعلها تختاره من بين الألوان التي تحدث أثناء أوقات النهار بين صبح وليل، وشروق وغروب وأصيل وغسق⁽¹⁴⁾، ولكن هذا المكان حتى ولو وجدته، فهو يعاني من ضياع ويفتقر إلى الأمان، ويتجلى هذا في قولها: " البحث عن الأمان في ضياع شراع السفينة، صمت المكان"، فالشاعرة استطاعت توظيف عاطفتها في النص وفق رؤية تختلف عن الرؤية العادية، وهذا من أجل التطلع إلى غد أفضل .

وهذا يشكل بؤرة الأحداث إذ يرتبط بالانتظار، والخوف من الوحدة. فكل هذا يعكس لنا ألمها من الحرب في وطنها ومن الغربة، والألم النفسي نتيجة لفقدانها للحبيب، والمحبة، فكل هذه النوايب، والخيبات رسمت معالم الحزن في وجدان الشاعرة. فهذا العنوان يعكس لنا الألم والأسى، ويوحي بحس شعري راقٍ.

4- يقدم ضمناً وصفاً لنفسية المبدعة ونظرة استشرافية، ولكنها ضبابية تعكس المعاناة النفسية والحالة التي ستعيشها مع مرور الأيام، أي أنه يمثل افتتاحية صغرى توحى بعدم وضوح الرؤية ومعرفة المصير، ولا يفصح عن نوعيته، وهذه الصورة تتشكل من نظائر دلالية الآتية: " صمت المكان، يخفيها الزمان، ذهول، الأفول...".

إن عنوان القصيدة أسهم في فهم النص وتفسيره، فمن خلاله استطاعت أن تُعرف بهوية النص، وتحدد مضمونه، وتجذب القارئ إليه وتغويه به⁽¹⁵⁾. ويمثل " أرجوان الشاطئ " منبع القصيدة الذي تفرعت عنه روافدها في شكل مقاطع (أرجوان الشاطئ وقت الغروب.../ أرجوان الشاطئ...وصمت المكان/ أرجوان الشاطئ...يجوب العباب...).

وبهذا تمثل أبيات قصيدة " أرجوان الشاطئ" رافدا لهذا العنوان إذ « إنه يمثل المسند إليه أو الموضوع العام وتكون كل الأفكار الواردة في الخطاب مسندات له»⁽¹⁶⁾ ويتجلى المكان " أرجوان الشاطئ" من خلال ثلاث حالات، وكل حالة توحى بنوعية وطبيعة المكان، وتتجلى هذه النوعية من تناسل العنوان عبر النص في علاقات جدلية توحى بالاختلاف، وعدم الانسجام، فطبيعة المكان مرت بمراحل، وكل مرحلة صبغته بظروف خاصة، ولكنها تشترك في تجسيد المعاناة، وفقدان الأمان، وكل هذه الصور تقاطعت، وتلاحمت فيما بينها في مستوى دلالي واحد، وهو تجسيد مأساة الشاعرة، وتنتظم في زمن واحد، وهو الحاضر المقول فيه القصيدة ، وهو ما يمكن رصده في شكل مقاطع.

- المرحلة الأولى: يمثلها المقطع الأول الذي يفتتح عن نوعية المكان في زمن محدد، وهو وقت الغروب، وقد تلاه ذكر الأحداث التي جرت وفق سلسلة من الصيغ الفعلية على النحو الآتي: (17)

أرجوان الشاطئ وقت الغروب...

يضيع فيه شراع سفينتي...

ويرتجف أفاقه لرهبة الأفول...

ووعد من الحبيب يلح علي بذهول...

بأنه يبقى مهما تكاثفت الذنوب...

لكن الوعد تلاشى في الفضاء...

وأفل مثل رهبة ذلك الأفول...

فعبارة " أرجوان الشاطئ وقت الغروب " حاولت من خلالها الشاعرة استرجاع ذكريات مرت بها في الماضي، وبخاصة أن اللون الأرجوان يعبر عن العاطفة الفارطة، وهذا الربط بين اللون، والتجربة أفضى إلى إبراز نغمة انفعالية؛ لأن الشاعرة اندمجت مع هذا اللون، وأفضت من خلاله بأحاسيسها اتجاه الأحداث التي مرت بها، حيث وظفت دلالة اللون الأرجواني للتعبير عن مدلول الضياع والحسرة، وبخاصة أنها ربطته بوقت الغروب الذي يوحي بذهاب آية النهار المضيئة التي ترمز إلى الحياة، والحيوية والأمل، وحلول آية الليل المظلمة التي توحى بالضياع، الرهبة، الرجفة، التلاشي، الأفول

-المرحلة الثانية: يمثلها المقطع الثاني الذي يوحي بالمكان الذي يطبق عليه الصمت، ويطل الوجه الحزين، والحسرة في القلب، وفقدان الأمان : (18)

أرجوان الشاطئ...وصمت المكان...

وحسرة في قلبي يخفيها الزمان...

كما خفي عمري وضج الوداع...

ومضيت أحرق بلا هدى...

يسيل لون الشفق على ظل الشراع...

ويرتشف البحر دموعي في حنان...

ويشرد ناظري كالعادة...

باحثا عن الأمان...

إن بنية المكان سواء كانت إيجابية، أو سلبية مستمرة عبر مسار حياة الشاعرة، لذلك فالصورة المكانية في هذا المقطع توحى بعلاقة الشاعرة بهذا المكان إذ نحس بعلاقة حميمة، وفي الوقت ذاته بالمرارة (قلبي، حسرة، دموعي، حنان، الأمان...) كلها نظائر دلالية توحى بأن المكان تلون

بذات الشاعرة، ومشاعرها، فالارتباط بالمكان ظل حاضرا لدى الشاعرة حتى، ولو أحست بالحسرة، والتشتت تبقى على ارتباط شديد به.

- المرحلة الثالثة : يمثلها المقطع التالي: (19)

أرجوان الشاطئ...يجوب العباب...

ووجه ذاو...نحل منه الشباب...

وعذب حديث من المحبوب...

مازال يضح مزدانا بالوعود...

وقلبي غائب عم كنه الوجود...

رانت به الذكرى على شاطئ الهوى...

واضمحل شوقا وبكى ألما...

وغاب الحبيب وبقي وحده يبكي النوى...

أرجوان الشاطئ...وقت الغروب...

إن حس المكان حس أصيل، وعميق في وجدان الشاعرة، على الرغم من أنه قد أصبح في هذا المقطع معادلا للأحزان والضياع، ويتجلى لنا أن احتفال الشاعرة بالمكان ممزوج بالرغبة والرغبة (العباب، ذاو، غائب، رانت، اضمحل، بكى، يبكي الحبيب، غاب، الغروب) فهذه النظائر الدلالية توحي أن هناك علاقة ألفة مبطنة بالخوف من الشاعرة تجاه المكان على الرغم من المصاعب، والمآسي والأحزان.

وتكشف العلاقات الصريحة بين العنوان، ومطلع النص في الخطاب الشعري (أرجوان الشاطئ) عن توازن يفضي إلى تكرار نمطي يتصدر مقاطع الخطاب، ومن الواضح أن هذه المطالع، أو ما يشكل نواة النص الشعري مستنسخ من العنوان مع إجراء نوع من التغيير يطول أواخر المقاطع

(أرجوان الشاطئ وقت الغروب... / أرجوان الشاطئ... وصمت المكان / أرجوان الشاطئ). يجوب العباب....) وهذه المقاطع بدورها تفضي إلى إبراز التعالق بين النص الموازي والمتن.

وأخيرا يمكن القول أن عنوان القصيدة "أرجوان الشاطئ" أسهم في فهم المتن وتأويله فهو عكس نوعية وطبيعة المكان، الذي يوحي بالاختلاف، وعدم الانسجام، وهذا يدل على حالة القلق والضيق التي تعاني منها الشاعرة، فطبيعة المكان متغيرة على طول القصيدة، وهذا ما جعل المقاطع الدلالية في المتن الشعري تنمو دراميا باتجاه عتبة العنوان في حلقة شعرية تكون انطلاقتها من عتبة العنوان (أرجوان الشاطئ) وتنتهي إليها في حالة تقاطع وتلاحم، من أجل بلورة الدلالة، وتقديمها إلى المتلقي، وبهذا فقد تمت تميته- العنوان- في متن القصيدة في نقط دلالية، ومعنوية متعددة، وعليه فالعنوان، والنص كلاهما يتصل بالآخر.

الهوامش:

- 1 - شاعرة وروائية من لبنان.
- 2 - إبراهيم بادي، "دلالة العنوان وأبعاده في موتة الرجل الأخير"، مجلة المدى، (العدد 26)، سوريا، (1999م)، ص 114.
- 3 - جميل حمداوي، "السيميوطيقا والعنونة"، مجلة عالم الفكر، مج 25، (العدد 3)، الكويت، (1997م)، ص 107.
- 4 - المرجع نفسه، ص 96.
- 5 - بسام قطوس، سيمياء العنوان، عمان- الأردن، مطبوعات المكتبة الوطنية، 2001، ص 36.
- 6 - بلقاسم الزميت، السيميوطيقا وحدود التفضية في الشعر العربي، مجلة فكر ونقد، (العدد 18)، (1999م)، ص 96.
- 7 - شادية شقرون، سيميائية العنوان في مقام البوح لعبد الله العشي، الملتقى الوطني الأول " السيميائية والنص الأدبي"، منشورات جامعة بسكرة، 2000م، ص 271.
- 8 - نافع حماد محمد، انفتاح العنوان الشعري: من سيمياء العتبة إلى فضاء المتن، ضمن كتاب "سيمياء الخطاب الشعري من التشكيل إلى التأويل"، ط1، إعداد وتقديم ومشاركة محمد صابر عبيد، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2009-2010م، ص 147.

- 9 - خالد حسين حسين، في نظرية العنوان: مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، دط، 2007م، ص 61
- 10 - المرجع نفسه، ص 64.
- 11 - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 1، ط 1، القاهرة، عالم الكتب، 2008م، ص 82.
- 12 - خالد بن محمد الجديع، "سيمياء اللون في الشعر السعودي المعاصر"، مجلة عالم الكتب، (العدد 5)، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، (2008م)، ص 441.
- 13 - المرجع نفسه، ص 443.
- 14 - خلف الخريشبة، "إيقاع اللون الأبيض في شعر بشر بن أبي خازم"، (مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها)، ج 15، (العدد 25)، السعودية، (1423هـ)، ص 855.
- 15 - جميل حمداوي، "السيميوطيقا والعنونة"، ص 99.
- 16 - المرجع نفسه، ص 98.
- 17 - نسرين بلوط، أرجوان الشاطئ، دار لبنان للطباعة والتوزيع، 2010م، ص 38.
- 18 - المصدر نفسه، ص 38.
- 19 - م ن، ص 39.